المؤسسة: ثانوية ابن باجة التأهيلية. –فاس-	المجزوءة: الوضع البشري
المادة: الفلسفة.	المفهوم: الشخص.
المستوى: الثانية بكالوريا	الأستاذ: مراد الكديوي.
المحور الأول: هوية الشخص.	
"لا ضرورة لأن تكون ديانة المرء هي كل هويته على وجه الحصر" "الهوية يمكن أن تكون مصدرا للثراء والدفء، كما يمكن أن تكون مصدرا للعنف والترويع" "امارتيا صن"	

✦ تأطير إشكالي:

تتخذ الهوية طابعها الفلسفي والإشكالي انطلاقا من وضع الشخص وأحواله. فهو يتعرف على ذاته بكونه الشخص نفسه سواء في الماضي او الحاضر الأمر الذي يجعل منه حقيقة ثابتة تند عن الإندثار ، بالرغم من التغيرات الجسمانية بفعل الزمان. هذا اليقين الثابت بأنه هو نفسه هو الدلالة الفلسفية على امتلاكه هوية تشكل حقيقته باعتبارها الفكرة المطابقة لذاتها حيث لا يكون الشيىء إلا هو هو (أ=أ). إلا ان المفارقة التي تعترضنا عند محاولة فهم هوية الشخص والأساس الذي تقوم عليه هو ازدواجية الرؤية لمفهوم الهوية بين الثبات والوحدة، وبين التعدد والتغير. فمن جهة يدرك الشخص أنه الكيان نفسه ومن جهة أخرى فإن ثبات هذا الكيان يحتجب بالنظر إلى أفعاله وأحواله التي تتغير بشكل دائم فالذي كان بالأمس ليس هو الشخص الكائن اليوم خصوصا إذا خرجنا من المفهوم المجرد للهوية إلى المفهوم الثقافي للهوية الذي يكون دائم التشكل والتغير عبر استدماج قيم ثقافية أو رفض أخرى. كل هذه المعطيات تجعل هوية الشخص مفهوم يتأرجح فلسفيا بين مفارقة الثبات والوحدة من جهة، والتغير والتعدد من جهة أخرى. وهو المعطى الذي يمكن التعبير عنه بالسؤال:

- **فيما تتحدد هوية الشخص؟ هل في الفكر والإرادة والشعور كتعبير عن الثبات والوحدة أو في الذاكرة والتشكل الحر كتعبير عن الأفق المتعدد والمتغير للهوية؟**
- **هل الهوية معنى قبلي ومجرد محمول على الخصائص الثابتة. أم أنها معنى ثقافي مطبوع بالتعدد والتغير من ثقافة لأخرى حيث تكون الهوية الثقافية دائمة البناء والتشكل؟**

✦ الإشتغال على نص "الهوية والشعور" لجون لوك". ص:15. (نموذج تحليلي)

لم يخطر في ذهن الرجل المسن أن طفلا لم يتجاوز بعد الخمس سنوات أن يسبب له كل هذا الإحراج. فقد دأب الشيخ كلما أراد أن يفخر بنفسه ويسترجع أمجاده العودة إلى صندوقه الخشبي القديم. فيخرج محتوياته ويأخذ في تأمل صوره القديمة ويطيل النظر فيها وكأنها لنجوم ومشاهير عصره. فيضحك تارة ويتحسر تارة أخرى، وفي كل مرة يختتم رحلته العاطفية هذه بالقول: "اه لو عاد الزمان للوراء قليلا". ما أن أتم قوله هذه المرة حتى سأل الطفل الذي امتدت عيونه للصور. من كل هؤلاء الأشخاص يا جدي هل هم أصدقاؤك؟ ضحك الشيخ مجددا ورد "الم تستطع أن تتعرف على جدك أيها الصبي". انظر هذا **"أنا"** حينما كنت تلميذا في الشهادة الإبتدائية. وهذا **"أنا"** حينما التحقت بالثانوية العامة -كنت وسيما أليس كذلك عليك أن تعترف بذلك- هل ترى هذا الجندي الواقف هنا إنه **"أنا"** في الحرب العالمية الثانية حينما حاربنا في صفوف الجيش

الفرنسي. "اه على الزمان وما فعل بي". صمت الطفل وتردد ثم سأل: كيف يمكن أن تكون أنت كل هؤلاء الأشخاص لا أستطيع رؤية تقاسيم وتجاعيد وجهك على الصور ولا شعرك الأبيض ولا فمك الفارغ من الأسنان... فكل شيء يبدو على غير ما هو عليه في الصور؟ لم يستطع الشيخ ان يخفي تضايقه من السؤال. إذ كيف يمكن أن يقنع صبيا بأنه هو نفسه كل هؤلاء الأشخاص. أعاد ترتيب صندوقه وهم بالمغادرة وهو يكرر "**أنا هو كل هؤلاء**". وضع الشيخ الطفل بهذا الجواب أمام حيرة من أمره إذ كيف أكون أنا هو كل هؤلاء، ولعله الإشكال نفسه الذي نعانيه حينما نسائل ذاتنا "ما الأنا؟" والذي نعمل على إخفائه تجنبا للخوف من الفشل في التعرف على هويتنا التي تجعلنا الشخص نفسه. وعموما فإن السؤال عن هوية الشخص وحقيقته سواء عند الطفل أو في النص الذي بين أيدينا هو ما يشكل الطابع الإشكالي لمجزوءة الوضع البشري التي تتناول الإنسان في أوضاعه الوجودية المتعددة وعلى رأسها البعد الذاتي الكامن في الشخص بما هو تعبير عن المحددات والمقومات الماهوية المشتركة بين أفراد النوع البشري. غير أن النفاذ للشخص كوضع وجودي لا يمكن أن يتم إلا بالسؤال عن هويته خصوصا مع تلك المفارقة التي تجعل من الهوية قائمة على الثبات والوحدة تارة وعلى التغير والتعدد تارة أخرى. على ضوء هذه المفارقة تصير هوية الشخص ذات طابع إشكالي وهو الأمر الذي نستطيع التعبير عنه بالسؤال:

- ما هو الأساس الذي تقوم عليه هوية الشخص؟ هل هو المعطيات الماهوية الثابتة والمجردة كالفكر والإرادة أم التعيينات الثقافية لهذه الهوية التي تجعلها متعددة بتعدد الثقافات حيث تكون دائمة التغير؟
- بأي معنى يمكن القول بأن هوية الشخص كامنة في الشعور -من حيث دلالته على الفكر والوعي بالذات- والذاكرة التي توسع هذا الوعي في الزمان؟
- هل يمكن ان نكون الشخص نفسه إذا ما حدث أن فقدنا الذاكرة؟ هل يستمر ذلك الشعور بأنني الشخص عينه أم أن هوية الشخص قائمة بقيام الشعور والذاكرة؟
- ما قيمة الشخص إذا كانت هويته قابلة للإندثار في كل لحظة بفقدان الذاكرة؟ ألا يمكن أن نجد تعبير ثابت للهوية يند عن التغير والإندثار كالإرادة والفكر؟
- ثم أليس ربط الهوية بمحددات ماهوية مجردة هو تقزيم للهوية وإغفال لطابعها الثقافي الذي يجعل منها دائمة التشكل؟

يعرض **جون لوك** "John LOCKE" في نصه لأطروحة مركزية تجعل هوية الشخص قائمة في الترابط بين الشعور والذاكرة. فإدراك الشخص لذاته بأنه هو نفسه الكائن المفكر في أزمنة وأمكنة مختلفة لا يمكن ان يتم إلا عبر الشعور الذي لا يقبل الإنفصال عن الفكر. فالشعور إذن هو الأساس الثابت لوعي الشخص بذاته رغم اختلاف الأزمنة والأمكنة. فبدونه يندثر معنى الشخص وهويته. إلا أن الوعي التام بهوية الشخص لا يكتمل إلا بالذاكرة ذلك أن الوعي ومعه الهوية تتوسع لتشمل أفعالنا الماضية الأمر الذي يجعل من الذاكرة هي همزة الوصل بين ماضي الشخص وحاضره باعتباره الشخص نفسه. فبدون الذاكرة يفقد الشخص شعوره بكونه هو الكيان نفسه الذي كان فيما مضى.

إن تأمل أطروحة "**جون لوك**" يدفعنا إلى القول بأن الطابع المركب لهوية الشخص (الشعور والذاكرة) لم يكن أمرا عرضيا فالدافع للقول بالشعور كأساس لهوية الشخص ينبع من التحديد الفلسفي للشخص باعتباره كائن عاقل له قدرة التأمل

والتعقل والعودة لذاته المصحوبة بيقين الإدراك والوعي بأنها هي نفسها. فافتراض الشعور بهذا المعنى ضرورة لإبراز الوجود الواعي للشخص الذي لا يتحقق إلا بالإدراك الكلي أن هذا الشخص هو نفسه رغم تعدد أفعاله في الزمان و المكان. فما يقف خلف هذا التباين في أفعال الشخص هو شعوره بأنه هو نفسه. فالفكر وحده غير كافي لتحقيق مثل هذه اليقين بأني الشخص نفسه. ذلك أن الفكر يمكن مغالطته أما الشعور بشخصي فلا أحد يستطيع سلبه مني. الفكر والتعقل والتأمل كلها بهذا المعنى معطيات فارغة ومجردة لا تظهر إلا بفعل الشعور الذي يعطيها الإنتظام في وحدة الشخص. إلا ان حالات الوعي والشعور لا يمكن اختزالها فيما هو لحظي ذلك أن الوعي يمتد في الزمان ليشمل الأفعال الماضية الشيىء الذي يعني أن الهوية تصبح مجال أوسع بحيث لا يكون الشخص هو الكائن المفكر الذي يعي ذاته بالشعور بأنه الشخص نفسه، بل يتجاوز ذلك إلى كونه الشخص نفسه الذي كان فيما مضى وهو الأمر الذي لا يمكن معه إدراك الشخص لذاته بأنه هو إلا عبر الذاكرة التي تجعله مطابقا لنفسه. فالشخص الذي يفتقد الذاكرة شخص بدون هوية ذلك أن شعوره بأنه هو نفسه يتوقف بالنظر إلى ضياع الذاكرة التي تربط شعوره بوجوده الماضوي.

وبالعودة إلى النص فإن **"جون لوك"** يوظف سلما حجاجيا يشكل الأساس المنطقي للأطروحة، إذ يتوزع بين **التعريف** الذي يعرف من خلاله الشخص باعتباره كائن مفكر عاقل قادر على التعقل والتأمل والعودة إلى ذاته باعتبارها مطابقة لنفسه رغم اختلاف الأزمنة والأمكنة. والقصد من هذا التعريف هو بيان الوعي كخاصية مميزة للشخص. لكن اكتمال هذا الوعي ومعه معنى الشخص لا يتم إلا عبر **التلازم المنطقي** بين الشعور والفكر ومعنى هذا التلازم أن الفكر لا يمكن أن يشكل هوية الشخص إلا إذا كان مشروطا بالشعور. فالفكر معطى مجرد وفارغ لا ندرك من خلاله ذواتنا إلا بالشعور الذي يعطي للشخص وحدته رغم اختلاف فكره وأفعاله في الزمان والمكان. بالإضافة إلى **الإستنتاج** الذي يخلص فيه إلى أن هوية الشخص تتسع باتساع الوعي مما يجعل هذه الهوية بحاجة للذاكرة التي تربط شعوره بانه الشخص نفسه بوجوده الماضوي.

يحيل القول بالشعور والذاكرة كأساس لهوية الشخص على قيمة فلسفية أصيلة تجد تعبيرها في كون "جون لوك" أعطى للهوية مدلولا يجعلها مرتبطة بالتجربة والإحساس الذي يتعرف فيه الشخص على نفسه بكونه هو هو عبر الشعور. وهو ما يعني أن هذه الهوية لا يمكن أن تكون مجردة ومفارقة لهذا الشعور، فالفكر أو الوعي لا يمكن أن يشكل هذه الهوية إلا بارتباطه بالشعور. ومن ثم يتجاوز "لوك" الإرث الديكارتي الذي يجعل هوية الشخص قائمة في الفكر المجرد عن كل الإحساسات المتغيرة. بالتأكيد على **الشعور** الذي يعطي للشخص وحدة الوعي بذاته بأنه هو نفسه و**الذاكرة** التي تجعل من هذه الهوية ذات وجود زماني قائم على الإنتقال مما كان إلى ما هو كائن. ولعل ذلك ما يجد تعبيره عند **"هنري برغسون"** Henri Bergson الذي أكد هو الآخر على أن الوعي الذي يشكل خاصية الإنسان ليس في حقيقة أمره سوى ذاكرة. فالوعي لا يمكن أن يكون مجرد لأنه لا يقوى على حفظ ذاته فهو معرض للتلف والنسيان بل للإندثار. لذا فالوعي هو احتفاظ بالماضي وتراكم في الحاضر واستباق للمستقبل. ومن ثم تكون الذاكرة عنصر أساسي للوعي إذ بدونها ينعدم استمرار شعور الشخص بأنه نفسه. غير أن التأكيد على القيمة الفلسفية لمثل هذه الأطروحة لا يحجب حدودها التي تجعلها قابلة للتجاوز. صحيح أن الهوية مع "لوك" ذات مدلول يرتبط بإحساساتنا بحيث لا تكون مجردة. لكن توقف الهوية لديه على الشعور والذاكرة يجعل هذه الهوية قابلة للزوال في كل لحظة بزوال الذاكرة. فبالرغم من أن الشخص يفقد ذاكرته إلا أنه يستمر في الوجود

باعتباره شخص. الأمر الذي يعني أن هوية الشخص تقوم في أساس ثابت يتجاوز كل التحديدات القابلة للزوال كالشعور والذاكرة. وهو ما أكد عليه **"رنيه ديكارت"** René Descartes حينما جعل من الفكر المحدد الأساسي للهوية كونه المعطى الثابت فينا الذي لا يتغير. فالفكر صفة ملازمة للوجود ويبدو هذا التلازم واضح في الكوجيطو الديكارتي "أنا أفكر إذن أنا موجود" فإذا ما حصل أن انقطع الإنسان عن التفكير فإنه ينقطع على الوجود لأنه العلامة الدالة على هويته ووجوده. وبذلك يرفض ديكارت تصور لوك لأنه يحمل معنى التغير المرتبط بمعطيات الذاكرة وإمكان زوالها. وفي نفس السياق تقريبا يعالج الفيلسوف الالماني **"ارثر شوبنهاور"** **Arthur Schopenhaurer** مسألة الهوية على ضوء الأساس الثابت. غير أن هذا الأساس لا يمكن أن يتشكل في الوعي أو الذاكرة. فالأول معطى بعدي، في حين أن الثاني قابل للزوال لأن الذاكرة حتى وإن وجدت فهي دائمة النسيان الامر الذي يقتضي النظر للهوية بناءا على الإرادة وذلك لكونها المعطى الثابت فينا الذي يند عن التغير والفساد. فالإفتقاد للذاكرة مثلا لا ينزع من الشخص هويته لأنه يظل متشبثا بالوجود النابع من الإرادة الثابتة لديه والسابقة على كل التحديدات الأخرى. وفي مقابل هذه التصورات جميعها بالرغم من تعددها واختلافها نجد على النقيض تصور الفيلسوف الأمريكي من أصول هندية **"امارتيا صن"** **Amartya Sen** في كتابه "الهوية والعنف" الذي يرفض التحديدات الماهوية والذاتية لهوية الشخص (الفكر، الإرادة، الشعور والذاكرة...). فالهوية ليست معطى مستقل عن الوجود الثقافي للشخص. فالهوية لديه أساسا ذات طابع ثقافي. غير أن هذه الهوية لا يمكن أن تكون ثابتة وواحدة، لان كل هوية من هذا القبيل هي سجن للشخص في حدودها بحيث لا يمكنه تجوزها إذ تصير امرا حتميا يفرض على الشخص الخضوع لها. والأهم من ذلك أنها تعمل على تقزيمه وتحديده بحي تطابق الشخص وهويته بالدين والعرق وهو المعطى الذي من شانه أن يخلق الصراع والعنف. لذا يقترح "امارتيا صن" ان تكون هوية الشخص قائمة على تعدد المحددات بالشكل الذي لا نستطيع من خلاله تقزيم هوية الشخص في محدد واحد وكأنه كل هويته. فالشخص دائم الترحال بين هويات مختلفة. وأساس هذا التحديد الفلسفي للهوية عند "امارتيا صن" هو أن الهوية تتأسس على الحرية والإختيار الذي يتمتع بهما الشخص إذ تكون الهوية معطى دائم التغير والتشكل.

تحيل هوية الشخص إذن إلى مجموعة من المحددات التي تتوزع بين ماهو ذاتي مثل الإرادة والفكر والشعور والذاكرة. وما هو ثقافي حيث يكون أساس هوية الشخص كامن في الحرية والإختيار إذ يجعلاها دائمة التشكل والتغير.

خلاصة القول. أن البحث الفلسفي في مسألة الهوية قام على التقابل بين الوحدة والثبات من جهة وبين التغير والتعدد من جهة أخرى. لذا فإن اختلاف التصورات يرجع لإختلاف الأساس الذي تشيد عليه الهوية بين ما هو ذاتي وبين ماهو ثقافي. وعليه فإنه من الصعب الفصل في هوية الشخص لأن كل هذه المحددات تعبير عن ماهية الشخص وحقيقته. غير أن السؤال عن الشخص لا يمكن اختزاله في الهوية. ذلك أن هذه الهوية لاتضيف للشخص شيئا إذا لم تكن له قيمة تميزه وتسمو به عن باقي الأشاء الفارغة من الوعي والحرية. فأين إذن تكمن قيمة الشخص؟